(١٢)

سلسلة قصص الأنبياء

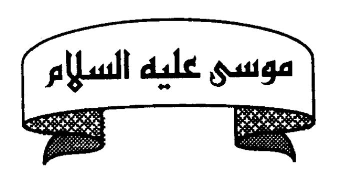
موسى عليه السلام

تأليف

الشيخ /بكر محمد إبراهيم

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده
خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

رقم الإيداع	١٨١٩٠ / ٩٩
ترقيم دولي	977-5096-61-8



* حول القصة

قصة موسى عليه السلام وردت في كثير من السور القرآنية مثل سورة البقرة ، والأعراف ، ويونس ، وهود ، والإسراء ، والكهف ، وطه ، والشعراء ، والنمل والقصص وغيرها ، وقد تعرضت السور التي ذكرت قصة موسى عليه السلام نبي الله ورسوله وكليمه ،إلى مواقف موسى ومواجهته لطغيان - ظلم - فرعون وملإه ، وموقفه من بني إسرائيل في مصر ، وبعد خروجه منها ، وتعرضت سورة القصص لميلاد موسى عليه السلام .

* ميلاد موسى عليه السلام

جاء كما قلنا ذكر ميلاد موسى عليه السلام ونشأته وخروجه من مصر إلى أرض مدين حيث التقى بالرجل الصالح ، فعمل له وتزوج ابنته وقضى عنده عشر سنين ثم فارقه وسار بأهله إلى جبل الطور ، حيث كلمه الله وأوحى إليه بما أوحى وأرسله إلى فرعون وملإه[1] وإلى بني إسرائيل .

---

(١) الملأ : أكابر القوم .

ولم تذكر سورة من سور القرآن ميلاد نبي غير موسى عليه السلام ولم تذكر قصة ميلاده في غير سورة القصص .

وقد بدأت سورة القصص بذكر ما كان عليه فرعون وقومه من علو واستكبار وظلم وطغيان ، وما لقيه بنو إسرائيل في عهده من ذل وهوان .

فقال تعالى : ﴿ **طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾** ﴾ [القصص : ١ - ٤] .

* أما شخصية فرعون :

فقد اختلف المؤرخون والمفسرون فيها ، فمن قائل أنه رمسيس الثاني ومن قائل أنه مربنتاح بن رمسيس ومن قائل أنه أوزوريس ؛ لأنه قد ثبت تاريخيًا أنه مات غريقًا وقد قال من نفي أن فرعون موسى هو رمسيس أن امرأة فرعون قالت له : قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا ، وهذا القول يدل على أن فرعون لم يكن له أولاد بينما رمسيس الثاني كان له مائة وواحد (١٠١) ولد وبنت وقد كتب أحد الباحثين بحثًا يفيد أنه تم تصوير مقبرة أوزوريس بالأشعة تحت الحمراء رغم أن جثته لم تكن في المقبرة فظهرت الصور فيها نيران وكانت المقبرة في

الصور مثل الفرن المشتعل ، وقد قال رب العزة تبارك وتعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] وهذه الآية مع آيات أخرى تثبت أن هناك عذابا في القبر للكافرين والفاجرين مثل قوله تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴾ [نوح : ٢٥] .

وقد كان هذا الطاغية يخشى على ملكه من أهل مصر ومن بني إسرائيل أيضًا ، لهذا قسم البلاد المصرية وغيرها من البلاد التي كانت تحت ملكه إلى مقاطعات صغيرة ، كل مقاطعة لها قوة صغيرة لحمايتها حتى يضمن السيطرة على الولايات وضرب بعضهم ببعض لينشغلوا عنه بأنفسهم ، فلا يفكرون في الاجتماع على حربه والقيام أمام ظلمه وشره ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ أي أحزابًا متفرقين ، وهذا أسلوب الطغاة في كل زمان ومكان ، وهو أسلوب يؤدي إلى النزاعات والخلافات ثم القيام على الظالمين والثورة عليهم .

وأما بنو إسرائيل فقد كانوا طائفة من أهل البادية ، وفدوا على مصر بأمر يوسف عليه السلام وعاشوا فيها آمنين وكثر عددهم ، واشتد بأسهم - قوتهم - وصاروا من أهل الرخاء والنعمة وكان الناس يعظمونهم لانتسابهم إلى يوسف عليه السلام، فلما مات يوسف ومضى على موته زمن طويل ، حاد هؤلاء - انحرفوا - عن الصراط المستقيم ، واشتدت العداوة بينهم

وبين القبط - أهل مصر في ذلك الزمان - فسعى كهنة مصر وعلماؤها وأشرافها إلى فرعون مصر وأخبروه بخبر صادق وهم الكذبة الفجرة ، أن نبيًا من بني إسرائيل سيولد في عصره ويدعو إلى خراب ملكه وتأليه غيره - أي اتخاذ غيره إلهًا وهو الله الإله الحق - فأصدر فرعون مرسومًا ملكيًا بقتل كل طفل يولد لبني إسرائيل ، وأرسل عيونه - جواسيسه - في كل مكان وأمر القوابل - الدايات - بالإخبار عن كل مولود يولد في بني إسرائيل من الذكور ثم يرسل الذباحين ليذبحوا المولود ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ** ﴾ واستحياء النساء أى تركهم أحياء للخدمة في قصور السادة والكبراء لقد بلغت القسوة بهذا الملك الظالم مبلغًا يفوق التصور ، إذ كان الطفل عند ولادته يذبح أمام أبيه وأمه وإخوته دون رحمة ولا شفقة ودون أن يرتكب ذنبًا .

واشتد الكرب - المصيبة - ببني إسرائيل وبلغ البلاء - الاختبار - مداه يقول تعالى : ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)** ﴾ [القصص : ٥ ، ٦] .

إن الشر حين يخلو من الخير تمامًا لابد من القضاء عليه إما بيد الأخيار وإما بيد القدرة الإلهية ، فبنو إسرائيل لما ظلموا هذا الظلم الشديد وذاقوا البلاء المبين وعدهم الله بالخلاص على يد



رجل منهم من أولاد لاوي بن يعقوب وقد أخبرهم بذلك علماؤهم وشاع هذا الوعد بينهم فكان يواسي بعضهم بعضًا بقرب قدومه ولما استحر - اشتد وكثر - قتل الأطفال الذكور من بني إسرائيل قل عددهم وقد كبر رجالهم وصاروا غير قادرين على الخدمة وعلى بناء الدور والقصور والأهرام والمعابد وغير ذلك .

قرر فرعون أن يقلل من قتل الأطفال من الذكور فيترك القتل سنة ويقتل سنة ، فولد هارون عليه السلام في السنة التي لا قتل فيها ، وذلك قبل موسى بسنة .

* نسب موسى عليه السلام وميلاده ونشأته :

ينتسب موسى عليه السلام إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، فهو موسى بن عمران بن قاهث بن عاذر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وأمه لوخا بنت هامد بن لاوي بن يعقوب ، وقيل : اسمها « موكابد » وقد وضعت أم موسى حملها فلما رأته ذكرًا كادت تصعق - تخر مغشيًا عليها - من شدة الخوف عليه ، ولم تعرف كيف تخفيه من العسس - الشرطة - الذين يطوفون ليل نهار على الحبالى من بني إسرائيل ، ليعرفوا خبر كل مولود يولد منهم .

وقد لمحت في وجهه نورًا لم تره في وجوه الأطفال ، ووقع في قلبها أن له شأنًا عظيمًا ، فبالغت في إخفائه عن أعين الناس جميعهم ، وخافت أن ترضعه فيراه واحد من الناس فيبلغ زبانية فرعون عنه فيقتلوه كما قتلوا ألوفًا غيره .

فأوحى الله إليها إما بإلهام في القلب وهي في اليقظة أو في المنام ، أو بعث إليها ملكًا تسمع صوته ولا تراه ، أو بعث إليها ملكًا في صورة رجل يقول لها : أرضعيه واستمرى في إرضاعه ، فإذا خفت عليه فاقذفيه في تابوت يكون حاضرًا لديك ، وألقى التابوت في اليم - النهر أو البحر - ولا تخافي عليه من الغرق ولا من الضياع وأخبرها أنه سيصل إلى يد فرعون عدو الله وعدوه، ولكنه سيسلم من شره ، وسيربيه في بيته ، ووعدها الله تعالى أن يرده إليها بعد وقت قريب لترضعه من ثديها ، وتقر به عينها - تفرح - ولتعلم أن وعد الله حق وبشرها بأنه سيكون رسولاً إلى بني إسرائيل وإلى أهل مصر وفرعون ، وسيجري على يديه المعجزات وينصره على فرعون وجنوده .

وفي هذا يقول تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [القصص : ٧] . وأعدت - جهزت - أمه تابوتًا وكان بيتها على شاطئ النيل ، وعزمت على أن تلقي موسى في التابوت ، وتقذف بالتابوت إلى النيل إذا ما أحست بخطر يداهمها - يهجم عليها - وربطت التابوت بحبل رفيع حتى تستطيع أن ترده إليها إذا زال الخطر .

وفي يوم نسيت أن تربط التابوت بالحبل ، أو ربطته فانقطع الحبل ، وقذف النيل بالتابوت إلى قصر فرعون ، فأرسلت امرأته في طلبه ، وكانت امرأة صالحة تدين بدين إبراهيم وإسماعيل

وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام ، وهي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد ملك مصر في عصر يوسف. وهي ممن كمل من النساء ، وقد أثنى الله عليها في القرآن - مدحها -

فقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم : ١١] .

وجاء الخدم بالتابوت إليها فلما فتحته أبصرت وليدًا بهي الطلعة - الصورة - جميل الوجه مستنير ،ففرحت به فرحًا شديدًا، وقالت : « موشى موشى » أي الوليد بلغة عصرها .

فلما جاء فرعون وأبصره غضب من وجوده في بيته ، وقد رأى أنه ليس مصريًا فأمر بذبحه أمام عينيه ، فاستوهبته منه آسية، ونهت عن قتله وقالت لفرعون : دعه - اتركه - حيًا ليكون قرة عين لي ولك ، نسعد برؤيته ، وننعم بوجوده بيننا ، عسى أن ينفعنا في تدبير شئون الملك ، أو نتخذه ولدًا وقد حرمنا من الإنجاب فاستجاب لها بعد تردد .

يقول تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القصص : ٨ ، ٩] .

أما أم موسى فقد أصبح قلبها فارغًا من كل شيء إلا من وليدها ، ولقد كادت تفقد وعيها وتظهر أنه وليدها ، غير أن الله تعالى ثبت قلبها وقوى عزمها على الصبر والاحتساب ، وذكرها بما وعدها ، فالتزمت جانب الصبر والحكمة ، وأخذت بالأسباب واستعانت بالله وتوكلت عليه ، فأرسلت أخته « كلثم بنت عمران» لتبصر حاله في قصر فرعون من بعيد خوفًا عليها من بطشهم ،ولكي لا يشكوا في أمرها ، فيحملوها بالقوة على الاعتراف بأنه أخوها فيقتلوه ويقتلوها وفي ذلك يقول تعالى : **﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾** [القصص : ١٠ ، ١١] . ومعنى قصيه : تتبعي أثره لتعلمي خبره - عن جنب - عن بعد بحيث تتخذين جانبًا من جوانب القصر بعيدًا عن الشك والتهمة ولفت الأنظار ، فبصرت به عن جنب وهم لا يبصرون أخته وعرفت أن امرأة فرعون جاءت له بمرضعات كثيرات فحرمهن الله عليه فلم يرضع من ثدي واحدة منهن .

وهنا تدخلت أخته تنصح لهم وقد رأت حيرتهم ولهفتهم على الوليد فقالت : هل أدلكم على أهل بيت يحسن كفالته ويكرمون مثواه ، ويقومون برعايته على خير وجه ، فوافقوا على ذلك بعد أن ناقشوها وقالوا لها : وما يدفع أهل هذا البيت الذي تتحدثين عنه ما الذي يدفعهم إلى حسن كفالته ورعايته هل هم

أقارب له ؟ فقالت أخته : ليسوا بأقارب له ولكنهم يرغبون في خدمة فرعون ومجاملته ، فأرسلوا إلى أمه وهم لا يعلمون أنها أمه ، وقدموا لها الوليد لترضعه فالتقم ثديها وامتصه بسهولة ويسر ، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا ، وقالت آسية امرأة فرعون لها: اسكني معنا في هذا القصر لترضعيه ، فاعتذرت بأن لها زوج وأولاد ، وطلبت أن ترضعه في بيتها فأجابوها إلى طلبها وأرسلوه معها ، وأغدقوا عليها وأوسعوا لها النفقة وعاش الوليد مع أمه في أمن ورخاء حتى شب واستوى عوده - قامته - فقرت به عينها صغيرًا وكبيرًا ، وكانت تتردد به على القصر كل حين وحين .

يقول تعالى : ﴿ **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾** ﴾ [القصص : ١٢ ، ١٣] .

وعندما بلغ موسى أشده واستوى أي اكتملت قوته البدنية والعقلية آتاه الله حكمًا أي سلطانًا ماديًا ومعنويًا وقدرة على تدبير الأمور وسياسة القوم وهدايتهم إلى دين الله ، وآتاه الله علمًا بأمور الدين والدنيا ، فكان أعلم بني إسرائيل ، وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور فعلم منها ما لم يكن يعلم ، وورث عن آبائه علمًا كثيرًا فاجتمع لديه علم غزير مع السلطان المادي والمعنوي ، فكان وجيهًا عند الله والناس .



* قتله للمصري :

وكان موسى عليه السلام يدين بدين آبائه كما وجد على هذا الدين أمه وأباه وكثيرًا من أهله ، فلما رأى فرعون منه ذلك أبغضه - كرهه - ودخل المدينة يومًا فزعًا أبعده فرعون وهذه المدينة هي - ممفيس - وأهلها في غفلة عنه ، فوجد فيها رجلين يقتتلان رجلاً إسرائيليًا ورجلاً قبطيًا - مصريًا - فاستغاثه الإسرائيلي فأغاثه بأن دفع المصري عنه بضربة من يده قضت عليه وقتلته ولم يكن موسى عليه السلام يتعمد قتله ، فشعر موسى بالندم وحزن على ما فعله حزنًا شديدًا وأحس بتأنيب الضمير فاستغفر ربه واستعاذ به من الشيطان فغفر له وعفا عنه .

قال تعالى : ﴿ **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾** ﴾ .

[القصص : ١٥ - ١٦] .

فقوله تعالى : ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، يدل على أنه كان ممنوعًا من دخولها وكان يعيش بمعزل عن أهلها .

والتصريح في الآية بأن الرجل الذي وكزه كان من عدوه يدل على أن القبط كـانوا في عداوة شديدة بينـهم وبين بني إسرائيل ، فلو قتله مـوسى عمدًا ما كـان عليه إثم ولكنه لم يقتله عـمدًا بل ولا خطأ ، ولكن الرجل مات قضاء وقدرًا .

وقد رأى مـوسى أن موت الرجل على يديه بالنسـبة له ذنب يجب الاستغفار منه ، وأن مـثله لا ينبغي أن يكون سببًا في موت أحد حتى ولو كان من عدوه أمكن دفعه من غير قتله ، وحسنات الأبرار سيئات المقـربين ، وذنوبهم أخطاء لا خطايا ، فكل خطيئة خطأ وليس كل خطأ خطيئة - أي ليس كل خطأ كبيرة - .

والأنبيـاء منزهون على المعـاصي صغـيرها وكـبيرهـا ، قبل الرسالة وبعدها ، والأقباط كانوا يستعبدون الإسرائيليين ويؤذونهم إلى درجة القتل .

وقد عزم موسى عليه السـلام بعد قتل هذا القبطي ألا يكون ظهيرًا مدافـعًا ونصيرًا لمجرم من المجرمين سواء كان من شـيعته أم من عدوه .

وذلك قيامًا بشكر الله تعالى على وافر نعمه . ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ** ﴾.

[القصص: ١٧] .

فأصـبح موسى في المدينة خائفًا بـعد قتل القـبطي خائفًا مما يدبر له في الخـفاء من الذي نصـره على عـدوه ، فقـد يكون هو

الذي يرشد عنه ويبلغ أمره إلى الحاكم ، وبنو إسـرائيل معروفون بالنميمة ، والخيانة ، وإنكار المعروف .

أخذ مـوسى يتـرقب سيـر الأمور لينجـو بنفسـه في الوقت المناسب فإذا به يجد على أطراف المدينة هذا الـرجل الذي استغاث به بالأمس يستصرخه ويستنصـر به على قبطي مرة أخرى ، فأنكر موسى سوء خلقـه وكثرة مشاحناته فقـال له : إنك لغوي مبين - ظاهر الضلال - لا تكف عن الشجار .

فلما أراد مـوسى أن يبطش بالقـبطي لأنه هو المعتـدي خاف الإسرائيلي أن يقـتله موسى لما سمـعه من تأنيبه ، فـصاح بأعلى صوته : يا مـوسى أتريد أن تقتلني كما قـتلت نفسًا بالأمس ، يا مـوسى مـا تريد إلا أن تكـون جـبـارًا فـي أرض مـصـر تـزهق الأرواح وتسفك الدمـاء ، وما تريد أن تكون من المصلحين كـما تدعى .

وفي هذا يقول تعالى : ﴿ **فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾** ﴾ .

[القصص: ١٨ ، ١٩] .

ويبدو أن الرجل كان مسلمًا على دين إبراهيم وإسحاق ولكنه

كان سليط اللسان وكان موسى عليه السلام ينصره لإسلامه وليس لمجرد العصبية .

ولما أحاط فرعون علمًا بما حدث من موسى عليه السلام جمع حاشيته ومستشاريه يشاورهم بما يصنع في موسى ، فحكموا جميعًا بقتله تملقًا لفرعون ومسايرة له ، وقد علموا غضبه على موسى .

وكان هناك رجل صالح يسكن أطراف المدينة قد سمع مقالتهم وعرف مكرهم وكان ممن يترددون على القصر الفرعوني لعمل أو قرابة لفرعون .

فجاء إلى موسى يسعى فأخبره بما عزم عليه فرعون وحاشيته، ونصحه بالخروج من المدينة إلى أرض بعيدة بحيث لا يعلم أحد بمكانه . فقبل موسى عليه السلام نصحه ، وخرج من المدينة خائفًا من أن يتعرض أحد له بسوء ، والأعداء من القبط كثير وكل يريد أن يتقرب إلى فرعون وملإه .

وخرج موسى من مدينة ممفيس يرقب العيون ويتحسس الخبر حتى وجد نفسه في الطريق إلى مدين بلدة بالشام ، فأسرع الخطا إليها مارًا بسيناء ضارعًا إلى الله عز وجل أن يهديه إلى سواء السبيل حتى لا يضل .

قال تعالى : ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ**

﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القصص : ٢٠ - ٢٢] .

واهتدى موسى عليه السلام بهداية الله تعالى حتى وصل ماء مدين بالقرب من خليج العقبة قبالة تبوك . فوجد عند الماء أمة من الناس أي جماعة يسقون دوابهم وأنعامهم ، ووجد امرأتين تسوقان الغنم بعيدًا عن الماء خوفًا من مزاحمة الرجال ، فعز على موسى أن لا يساعدهما ، وأن العادة أن يأتي الرجال للسقي لا النساء ، فسألهما عن شأنهما فأخبرتاه أنهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء ، أي حتى يفرغ الرجال من السقي ويتركوا السقي للضعفاء، ثم يضعون على البئر حجرًا كبيرًا .

واعتذرتا بأن الذي حملهما على المجيء أن أباهما شيخ كبير طاعن في السن لا يقوى على العمل . وهكذا المرأة الصالحة لا تخرج إلى العمل خارج بيتها إلا إذا اضطرت لذلك وأن الأصل هو لزومها لبيتها وخدمة زوجها وأولادها ورعاية بيتها وعدم التعرض للرجال وكثرة الخروج والدخول والالتزام بخلق الحياء الذي هو شعبة من شعب الإيمان .

ولعلهما لمحا لموسى عليه السلام بهذه العبارات وأبونا شيخ كبير وإفهامه أن ليس لأي منهما رجل يقوم على شئونهما - أنهما خاليتان - .

وجاءت إحدى الفتيات إلى موسى بعد أن سقى لهما تدعوه إلى أبيها ليعطيه أجر ما سقى لهما فلما أتى أباهما عرض عليه الزواج من إحدى الفتاتين على أن يعمل عنده ثماني سنين أو عشرًا ، وكان أبوهما رجل صالح وليس هو شعيب كما يقول كثير من المفسرين(١) ، ثم لما قضى موسى عشر سنوات يعمل لدى الرجل الصالح عاد بامرأته إلى مصر ولما وصل طور سيناء رأى نارًا فأخبر زوجته وقد حضرها المخاض - آلام الولادة - أنه سيذهب ليحضر لها جذوة - شعلة - من النار ليستدفئا بها ولتنير لهما الطريق أثناء الليل ، فلما جاءها ناداه الله تعالى في هذه البقعة المباركة من طور سيناء بالوادي المقدس المسمى طوى وأخبره أنه هو الله تعالى لا إله غيره وأنه اختاره نبيًا ورسولاً إلى فرعون وبني إسرائيل وأوصاه بإقامة الصلاة لذكره تعالى والذهاب برسالته إلى فرعون ومنحه معجزتين :

* معجزات موسى عليه السلام :

أما المعجزة الأولى : فأمره الله تعالى أن يلقي عصاه على الأرض فتحولت إلى ثعبان ضخم يسعى على الأرض وأمره الله عز وجل أن يأخذ الثعبان فخاف موسى فأمره ربه ألا يخاف فأخذ الثعبان فعاد عصا كما كانت وأمره أن يدخل يده في فتحة قميصه

(١) وصل إلى هذه النتيجة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فى تفسيره ومجموع الفتاوى بعد إجراء بحث فى هذه المسألة .

ثم يخرجها فصارت تشع وتنير كنور الشمس .

وطلب موسى عليه السلام من ربه أن يرسل معه أخاه هارون ليكون معه نبيًا ووزيرًا فاستجاب الله له . ثم توجه موسى إلى فرعون بعد أن صحب معه أخاه هارون فكذبهما فرعون واتهمهما بأنهما ساحران كبيران واتفق معهما على أن يجمع لهما السحرة ويجري بينهما مباراة ليرى من الغالب ، بالفعل عزيزي الشاب تمت هذه المباراة بين موسى عليه السلام والسحرة الذين كانوا في غاية المهارة والإجادة لفنون السحر فألقوا عصيًا وحبالاً خيل للناس أنها ثعابين تسعى في الأرض فأحس موسى بالخوف فطمأن الله قلبه وأمره أن يلقي عصاه تلقف كذبهم ودجلهم وتمويههم وخداعهم فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ، فهددهم فرعون بالصلب بحجة أنهم آمنوا بموسى ولم يستأذنوا منه ، واتهم موسى عليه السلام بأنه كبير السحرة الذي علمهم ثم أهلك الله فرعون بالغرق وخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر ، ثم واعده الله عز وجل أن يحضر لمناجاته على طور سيناء بعد الخروج ببني إسرائيل فصنع لهم رجل ضال مشرك اسمه السامري[1] عجلاً من ذهب يخور

(١) يرى بعض الكتاب المعاصرين أن السامرى هو المسيخ الدجال وذلك ؛ لأنه كان يرى جبريل عليه السلام ولأن موسى عليه السلام لم يقتله كما قتل عباد العجل لأنه منظر (ممهل) إلى يوم القيامة وغير ذلك من الحجج والأدلة .

كما يخور الثور لدقة صناعته ، وكان موسى عليه السلام قد استخلف من بعده أخاه هارون فنهاهم عن هذه الفعلة الشنعاء ، فكادوا أن يقتلوه واستمروا في عبادة العجل حتى جاء موسى وأعلمه ربه بما صنع قومه فجاء غاضبًا وأمسك بناصية أخيه ليضربه فأخبره هارون عليه السلام بعذره وأنه بلغ بني إسرائيل وأنذر دون جدوى .

ثم ندم بنو إسرائيل وطلبوا من موسى أن يطلب لهم التوبة من الله عز وجل فأمر الله تعالى بقتل من عبد العجل ليتوب الله عليه ففعل موسى كما أمره ربه واستمر موسى عليه السلام يدعو بني إسرائيل ويعلمهم مما علمه الله تعالى وكان عليه السلام يلاقي منهم العنت والشدة ويتحمل أذى[1] قومه وقد أنعم الله تعالى على بني إسرائيل وأمدهم بكثير من النعم كالمن والسلوى . والمن حلوى تتكون على جذوع الأشجار والسلوى طائر السمان كان يأتيهم بكثرة . ولما أحس موسى عليه السلام بدنو أجله وكان هارون قد مات قبله فاستخلف فتاه يوشع بن نون على بني إسرائيل كما أمره الله تعالى .

وقد تعرض موسى عليه السلام لمواقف كثيرة ومحن عظيمة

(١) كان كثير من بنى إسرائيل يؤذون بموسى قالوا : أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا . وقالوا أنه آدر (متضخم الخصية) وغير ذلك من الإيذاء حتى طلبوا رؤية الله جهرًا ووصل بهم الأمر إلى أن اتهموه بقتل أخيه هارون .

فمن ذلك قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل فى غيبته ، وقصة القتيل الذى تدافع فيه القوم وأمر الله تعالى له بأن يأمر بنى إسرائيل بذبح بقرة وما كان من تعسف بنى إسرائيل ومماطلتهم فى هذا الأمر وما كان من لقاء موسى عليه السلام للخضر ورؤيته العجائب على يد الخضر حتى كان الفراق بينهما ثم ما كان بين موسى وقارون الذى أتاه الله من الكنوز والأموال الكثيرة وطغيانه وتكبره واغتراره بماله .

ثم حج موسى عليه السلام إلى البيت العتيق ، ثم وفاته عليه السلام .

* فضائل موسى عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾

[مريم : ٥١ - ٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

[الأعراف : ١٤٤] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا تفضلونى على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فأجد موسى

باطشًا (ممسكًا) بقائمة العرش ، فلا أدرى أصعق فأفاق قبلى ؟ أم جوزى بصعقة الطور ؟»[1] . وهذا من باب تواضع النبى ﷺ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء : ١٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ .

[الأحزاب : ٦٩] .

روى البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسى كان رجلاً حييًا وستيرًا لا يرى جلده شئ استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل ، فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة (أى انتفاخ الخصية) وإما آفة (مرض) وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا

(١) لأن موسى قد صعق عندما طلب رؤية الله سبحانه وتعالى فلم يتحمل رؤية الجبل وقد اندك من تجلى الله سبحانه وتعالى عليه .

بثوبه ، فـأخذ موسى عصـاه وطلب الحجر فجـعل يقول : ثوبى حجر ، ثوبى حجر ، حـتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عريـانًا أحسن مـا خلق الله وبرأه الله مما يقولـون ، وقام الحـجر فأخـذ ثوبه فلبـسه ، وطفق بالحـجر ضربًا بـعصاه فـوالله إن فى الحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا[1] فذلك قوله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

قال بعض السـلف : « كان من وجاهتـه أنه شفع فى أخـيه عند الله ، وطلب مـنه أن يكون معـه وزيرًا ، فـأجـابه الله إلى سؤاله وأعطاه طلبته وجعله نبيًا » .

وقـد ثبت فى أحـاديث الإسـراء : أن رسـول الله ﷺ مـر بموسى وهو قائم يصلى فى قبره ، رواه مسلم عن أنس .

وفى الصحيحين عن أنس عن النبى ﷺ أنه مر ليلة أسرى به بموسى فى السماء السادسة فقـال له جبريل : هذا موسى ، فسلم عليه . قال : « فسلمت عليه فقال : مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، فلمـا تجاوزت بكى . قيل له مـا يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلامـا بعث بعدى يدخل الجنة من أمـته أكثـر مما يدخلها من أمتى .

---

(١) رواه البخارى (٥ / ٢٠) ومـسلم والترمذى ورواه الإمام أحـمد فى المسند وأبو داود .

واتفقت الروايات كلها على أن الله لما فرض على محمد ﷺ وأمته خمسين صلاة فى اليوم والليلة - مر بموسى . فقال ارجع إلى ربك فسئله التخفيف لأمتك ، فإنى قد عالجت بنى إسرائيل قبلك أشد المعالجة ، وإن أمتك أضعف أسماعًا وأبصارًا وأفئدة ، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل ، ويخفف الله عنه كل مرة ، حتى صارت إلى خمس صلوات فى اليوم والليلة .

وروى البخارى بسنده إلى ابن عباس قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا فقال : « عرضت عليَّ الأمم ورأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق ، فقيل هذا موسى مع قومه » .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنبياء ٤٨ - ٥٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[القصص : ٤٨ - ٤٩] .

فأثنى الله على الكتابين وعلى الرسولين عليهما السلام .

وقالت الجن لقومهم : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ

موسى ﴾ [الأحقاف : ٣١] .

وقال ورقة بن نوفل لما قص عليه رسول الله ﷺ خبر ما رأى من أول الوحى وتلا عليه قوله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥** ﴾ [القلم : ١ - ٥] . قال سبوح سبوح ، هذا الناموس (ملك الوحى) الذى أنزل على موسى بن عمران .

فشريعة موسى عليه السلام كانت شريعة عظيمة ، وأمته كانت أمة كبيرة ووجد فيها أنبياء وعلماء ، وعباد وزهاد وألباء (عقلاء) وملوك وأمراء وسادات وكبراء لكنهم كانوا فبادوا (ماتوا) وتبدلوا كما بدلوا شريعتهم ومسخ بعضهم قردة وخنازير ، ثم نسخت ملتهم .

